

الباب الأول

قراءة القرآن



قال تعالى: ﴿وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ [الزمل: ٤] أى اقرأه بطمأنينة غير متعجل فى تدبر معانيه وأعط كل حرف حقه ومستحقه. وعندما سئلت أم سلمة عن قراءة رسول الله ﷺ إذا هي نعتها بالقراءة المفصرة حرفاً، حرفاً^(١) أى يفسر الحروف فلا تختلط على السامع.

وسئل أنس بن مالك رضي الله عنه عن كيفية قراءة النبي ﷺ فقال: «كانت قراءته مداً. ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم بمد بيسم الله، ومد بالرحمن، ومد بالرحيم».

وقد تلقى صحابة رسول الله ﷺ قراءتهم من الرسول مباشرة عن طريق المشافهة ثم تلقى التابعون عن الصحابة رضوان الله عليهم ثم تابعوا التابعين وهكذا تمضى سلسلة المشافهة من جيل إلى جيل ومن مقرئ إلى قارئ مع تحرى القارئ أن يتلقى من الماهرين المجودين المتقين وكان السلف يشترطون فى ذلك اتصال السند إلى النبي ﷺ لأن هذا العلم سنة متبعة يأخذها اللاحق عن السابق وكان رضي الله عنه يعرض القرآن على جبريل فى كل عام مرة فى رمضان، وفى السنة التى توفى فيها عرضه مرتين.

وقد تسابق صحابة رسول الله ﷺ ينهلون من نبع القرآن علماً وعملاً وحفظاً وترتيلًا. وتميز منهم نفر ممن أتقنوا فن التلاوة حتى صاروا أعلاماً فيها فاحتضنهم رسول الله ﷺ ووالاهم بالعبادة والرعاية ولعت من بينهم أسماء بعينها وتعاهدتهم يسمعهم قراءته ويطلب منهم أحياناً أن يسمع منهم وأغلبنا يعلم أنه صلوات الله عليه وآله وسلامه طلب من عبد الله بن مسعود - كما جاء فى الحديث الصحيح - أن يقرأ عليه فقرأ حتى بلغ قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١] قال حسبك، فالتفت فإذا به رضي الله عنه تذرف عيناه. (متفق عليه).

(١) تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى، وأخرجه أبو داود.

كما ثبت أن النبي ﷺ سمع عبد الله بن مسعود يقرأ في صلاته فقال: «من سره أن يقرأ القرآن غصاً كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد» (١).

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ لأبي بن كعب: «إن الله أمرني أن أقرأ عليك» قال: «الله سمانى لك؟ قال: «الله سمانى لي»، قال أنس: فجعل أبي ييكي» (٢).

فكان أبي بن كعب، وعبد الله بن مسعود من تلك الكوكبة من الصحابة ومن طلائع القراءة الذين تعهدهم رسول الله.

قال ﷺ: «خذوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود، وسالم، ومعاذ، وأبي بن كعب» (٣). ومن هذه الكوكبة أيضاً: زيد بن ثابت، وعلي بن أبي موسى الأشعري ومعاذ بن جبل.

نستنتج من حرص رسول الله ﷺ على تلقي القرآن من أناس بعينهم أن لهم تميزاً في طريقة قراءتهم عن غيرهم. كما نستنتج أن لقراءة القرآن هيئة وصفة يستحب اتباعها كما يكره مخالفتها أو الانحراف عنها. «وصفة القراءة هذه التي اصطالحوا على تسميتها بعد ذلك (بالتجويد) تحتوي على لهجات العرب الفصحى، وطريقتهم في النطق. وهذا من مقتضى كون القرآن عربياً فهو عربي في لفظه ومعناه، وأسلوبه، وتركيبه، ولهجته، وطريقة النطق به، ولذلك نجد كثيراً من مباحث التجويد والقراءة في علم «اللغة» و«النحو»، فهي مباحث مشتركة بين الطرفين» (٤).

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ [البقرة: ١٢١] يقول الإمام الغزالي «وتلاوة القرآن حق تلاوته هو أن يشترك فيه اللسان والعقل والقلب، فحظ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل وحظ العقل الائتمار. فاللسان «يرتل»، والعقل «يترجم»،

(١) رواه البزار والطبراني وفيه عاصم بن أبي النجود وهو على ضعفه حسن الحديث، وبقي رجال أحمد رجال الصحيح ورجال الطبراني رجال الصحيح - انظر مجمع الزوائد للهيتمي ج ٩ ص ٢٨٧.

(٢) رواه مسلم «كتاب صلاة المسافرين: وقصرها» باب استحباب قراءة القرآن على أهل الفضل ح رقم ٧٩٩.

(٣) صحيح البخاري «كتاب فضائل القرآن» باب القراء من أصحاب النبي، كتاب المناقب، باب مناقب أبي بن كعب، صحيح مسلم «كتاب فضائل الصحابة، وسنن النسائي كتاب المناقب.

(٤) قواعد التجويد، أبو عاصم عبد الفتاح القاري، ط. ١٩٥٦.

والقلب «يتعظ»^(١).

فضل تلاوة القرآن :

لا شك أنه ما من مسلم قد أتيح له أن يستوعب ما جاء بالكتاب والسنة بشأن فضل القرآن الكريم وفضل تلاوته والانشغال به والعمل بما جاء فيه، وما وعد الله به أهل القرآن من الدرجات العلى فى جنات النعيم، إلا وثقت نفسه إلى دراسته، وإجادة تلاوته، ومحاولة حفظه وتعاهده بالاسترجاع حتى لا يتفلس من صدره ولا يتسع المقام هنا لسرد الكثير مما جاء بالكتاب والسنة في هذا الشأن ولكننا نكتفي من كل بستان بزهره أو بضع زهرات:

فهما ورد بالكتاب في هذا الشأن:

١- قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ۗ ﴿٢٩﴾ لِيُوفِيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ۗ ﴿٣٠﴾﴾ [فاطر: ٢٩، ٣٠]

٢- قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ۗ ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء: ٨٢]

٣- وقال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ۗ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: ٢٩].

٤- ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۗ ﴿٢١﴾﴾ [الحشر: ٢١].

٥- ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ ۗ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ۗ ﴿٢٣﴾﴾ [الزمر: ٢٣].

(١) إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٣١، ط ١٩٥٦.

ومما جاء في أحاديث رسول الله ﷺ :

١- روى أبو داود والترمذي بإسنادهما عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله - ﷺ -: «يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فيآن منزلتك عند آخر آية تقرؤها»^(١).

٢- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله أهلين من الناس» قالوا: من هم يا رسول الله؟ قال: «أهل القرآن هم أهل الله وخاصته»^(٢).

٣- وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله ما لأفوه ينفقه آناء الليل وآناء النهار» (متفق عليه)^(٣).

٤- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ: «أحب الأعمال إلى الله تعالى الحال المرتحل، قالوا: وما الحال المرتحل؟ قال: «صاحب القرآن يضرب من أوله لآخره كلما حل ارتحل»^(٤).

٥- عن ابن معاذ بن أنس أن النبي ﷺ قال: «من قرأ القرآن وعمل بما فيه ألبس الله والديه تاجاً يوم القيامة ضوءه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا، فما ظنكم بالذي عمل بهذا»^(٥).

والحديث لم يحدد مكانة من عمل بهذا وإنما اكتفي بتحديد منزلة والديه في صورة نشتهيها

(١) رواه أبو داود «كتاب الصلاة» باب استحباب الترتيل في القراءة، والترمذي الذبائح أبواب فضائل القرآن / صحيح ابن حبان «كتاب الرقائق» باب قراءة القرآن، قالوا حديث صحيح حسن.

(٢) أخرجه الإمام أحمد «كتاب فضائل القرآن»، وسنن الدارمي، «كتاب فضائل القرآن» باب فضل من قرأ القرآن، سنن ابن ماجه «المقدمة» باب فضل من تعلم القرآن وعلمه/ لطائف الإشارات للعسقلاني ج ١، ص ١١، الفتح الرباعي ح ١٨، ص ٧.

(٣) صحيح مسلم «كتاب صلاة المسافرين وقصرها» باب فضل من يقوم بالقرآن / سنن ابن ماجه «كتاب الزهد» باب الحمد / صحيح ابن حبان / ورواه أحمد بإسناده عن ابن عمر رضي الله عنهما. متفق عليه.

(٤) رواه الترمذي «الجامع الصحيح» الذبائح أبواب القراءات عن رسول الله ﷺ، والدارمي «كتاب فضائل القرآن»، والمستدرک علی الصحیحین وله فيه ألفاظ أخرى / الجامع لأحكام القرآن ١/٣٠.

(٥) رواه أبو داود بإسناده عن معاذ «كتاب الصلاة» باب في ثواب قراءة القرآن ح ١٤٥٣ / المستدرک للحاکم «كتاب فضائل القرآن / مسند أحمد / مسند المكيين.

كل نفس أما صاحب هذا العمل فقد ترك خيال السامعين أن يحلق كما يشاء ، فلا حدود لعطاء الله لمن طلب رضاه وسار على نهج القرآن الكريم.

٦- روى مسلم بسنده من حديث عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين» (١).

٧- روى مسلم بسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده» (٢).

٨- عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «المأهرا بالقرآن مع السفارة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتبع فيه وهو عليه شاق له أجران» (٣).

وأخيراً نختم هذه الباقية العطرة من أحاديث سيد المرسلين بما رواه عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» (أخرجه البخاري) (٤).

وها هو حديث رسول الله ﷺ قد أوضح معالم الطريق لمن أراد أن يكون خير الناس فيبين أن عليه أن يتعلم القرآن أولاً تلاوة ودراسة وفهما مع العمل بما فيه من أحكام، والالتزام بما فيه من أوامر ونواه، فهذا هو نصف الطريق، فإذا أتم الله نعمته وفضله عليه ومكنه من القيام بتعليم القرآن لغيره فقد أكمل المسيرة وهنئنا له إذا أخلص نيته لله وحده غير ناظر لصيت أو سمعة أو شهرة.

(١) صحيح مسلم ح ٥١٧ "كتاب صلاة المسافرين وقصرها" باب فضل من يقوم بالقرآن / مسند أحمد كتاب فضائل

القرآن ح ٢٣٤ / سنن ابن ماجه "المقدمة" باب فضل من تعلم القرآن وعلمه .

(٢) صحيح مسلم "باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن" ح رقم ٢٦٩٩ / سنن أبي داود "كتاب الصلاة" باب في ثواب قراءة القرآن / الترمذي كتاب القراءات / ابن حبان "كتاب الرقائق" / شعب الإيمان لليهقي / فصل في فضل العلم وشرف مقداره .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه "كتاب صلاة المسافرين وقصرها" باب فضل الماهر بالقرآن / سنن ابن ماجه "باب ثواب القرآن / صحيح ابن حبان" باب قراءة القرآن .

(٤) صحيح البخاري "كتاب فضائل القرآن" باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه ح ٥٠٢٧ / سنن أبي داود "باب في ثواب قراءة القرآن / سنن الترمذي باب ما جاء في تعليم القرآن / سنن الدارمي / مسند أحمد .

آداب تلاوة القرآن:

- ١- إخلاص النية لله وحده.
- ٢- أن يكون القارئ طاهراً نظيف التوب والبدن.
- ٣- أن يستقبل القبلة إن لم يكن هناك ما يعوقه عن ذلك.
- ٤- الإعداد النفسى والذهنى والتهيئة لاستحضار عظمة الله وجلاله وعظمة الكلام الذى سيتلوه.
- ٥- حبذا لو استاك أو نظف فمه لأنه سوف ينطق بكلام الله سبحانه وتعالى وسوف يجرى الكلام فيه ليخرج من مخارج حروفه، فالأولى أن يكون الفم ذا رائحة زكية إن أمكن ذلك.
- ٦- وإذا كان حظ اللسان من التلاوة تصحيح الحروف بالتلاوة، وحظ العقل تفسير المعانى، وحظ القلب الاتعاظ والتأثر، فينبى على ذلك أنه إذا جلس المؤمن للتلاوة حاضر بعقله، وقلبه، ولسانه فقد صدق مع نفسه، ومع الله، ومع كلام الله. وإذا كان أمر المؤمن كذلك، فلا بد أن عقله سوف يتدبر ما يتلوه من آيات الله، فإذا تدبر العقل، استشعر المؤمن من خلال الآيات فتحا من الله وقبولاً، فلا يكفي بما يبدو من ظاهر الكلام، وإنما يستشعر قلبه معاني خفية، هي نفحات من عند الرحمن لعبدته الذي أقبل عليه وقد ألقى خلف ظهره كل أمور دنياه، وخلص لمولاه وحده. ومع هذا الحضور بالنفس، والعقل، والقلب سوف يشعر بقرب الله تعالى منه، ويحس أنه في حضرته، فإذا تلا أمراً من أوامره، أو نهياً من نواهيه خضعت نفسه منصاعة، وقالت سمعاً وطاعة. وإذا تلا من كلام الله آية وعيد وجل قلبه وظن أنه هالك لا محالة فيتوب، وإذا كانت آية وعيد استبشر خيراً واطمأن قلبه، فإذا مر بذكر النار تعوذ منها ومن عذابها، وإذا جاء ذكر الجنة انشرح صدره واشتاق نفسه إليها وألح في طلبها.
- ٧- أن ينتقي لنفسه مكاناً معزلاً عن كل ما يلهيه ويصرفه عن الاندماج في معاني الآيات (كالمذبح والتلفاز والأماكن التي تعج بالضوضاء وأهل اللغو والفراغ).

٨- أن يزين قراءته ويحسن صوته بها وإن لم يكن حسن الصوت حسنه ما استطاع.

فالقراءة السليمة المجدودة المتقنة إذا زانها صوت حسن ندى كانت فضلا من الله ومنه على من قرأ ومن سمع، وصرف الله إليها الجن والملائكة يستمعون لها، وصغت لها أسماع المؤمنين وقلوبهم، وما من دليل على ذلك أبلغ من تأثير الرسول الكريم نفسه بالأصوات الحسنة وتأثيرها على نفسه وبقينه بمدى تأثيرها على النفوس لذا نراه حين أقر صيغة الأذان لأول مرة في الإسلام لم يكلف من حدثه بها أن يؤذن بل أمره أن يذهب إلى بلال فيعلمه إياها لأنه أمدى منه صوتاً .

وقد قال ﷺ: «زينوا القرآن بأصواتكم»^(١). ومن قوله أيضاً: «ما أذن الله لشئ ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنّى بالقرآن»^(٢). ولقد سمع عبد الله بن مسعود يقرأ في صلاته فقال: «من سره أن يقرأ القرآن غصاً كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد» فقد كان عبد الله ابن مسعود ﷺ مشهوراً بحسن الصوت وجودة الترتيل ودقة الأداء حتى أن الرسول نفسه طلب منه أن يقرأ عليه القرآن عندما أحب أن يسمعه من غيره . ولا ننسى أن نذكر قول رسول الله ﷺ وهو يعبر بأسلوب في منتهى البلاغة عن مدى إعجابه بصوت أبي موسى الأشعري عندما قابله فقال له: «لو رأيتني وأنا أسمع قراءتك البارحة !! ، لقد أوتيت مزماراً من مزامير داود». فقال أبو موسى: لو علمت أنك تسمع قراءتي لحيرتها لك تحبيراً»^(٣)، أى لجودتها وحسنتها وزينتها لك تريناً.

على أنه ينبغي للقارئ أن يضع نصب عينيه حداً فارقاً جلياً بين ماهو تزيين وتحسين للصوت قصد به أن يكون جواز مرور يفتح آذان السامعين ويسمح للمعاني القرآنية أن تتجاوز عتبات أسماعهم لتنفذ إلى أعماق قلوبهم ومداركهم وعقولهم، وبين ماهو ترنم وتنغيم .

(١) سنن أبي داود .

(٢) رواه البخاري "كتاب فضائل القرآن" باب من لم يتغن بالقرآن / ومسند أحمد "كتاب فضائل القرآن" باب من لم يتغن بالقرآن . كما روى بالفاظ أخرى .

(٣) رواه مسلم في الصحيح عن داود بن رشيد/ وأخرجه البخاري من وجه آخر عن أبي بردة مختصراً السنن الكبرى للبيهقي "كتاب الشهادات" باب تحسين الصوت بالقرآن والذكر .

٩- التوقف عن القراءة عند التثاؤب ثم الاستئناف بعده.

١٠- أن ينهي قراءته بتصديق ربه (أي قوله: صدق الله العظيم) وأن يشهد لرسوله بإبلاغ الرسالة فيقول: (وصدق رسوله الكريم بلغ الرسالة ونحن على ذلك من الشاهدين).

الأحرف السبعة :

روي ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «أقرأني جبريل على حرف، فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف»^(١).

فكانت استزادة الرسول ﷺ طلباً للتوسعة على أمة المسلمين وتخفيفاً عنها، ورحمة بها.

وروي البخاري عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت هشاماً يقرأ سورة (الفرقان) في حياة النبي فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف لم يقرئها رسول الله ﷺ فكادت أساوره^(٢) في الصلاة، فتصبرت حتى سلم فلبيته^(٣) بردائه فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ؟ فقال أقرأنيها رسول الله ﷺ فقلت كذبت فإن رسول الله قد أقرأنيها على غير ما قرأت.

فانطلقت به أقوده إلي رسول الله ﷺ فقلت: إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرأنيها. فقال رسول الله ﷺ: «أرسله. . اقرأياً هشام» فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ، فقال رسول الله ﷺ: «كذلك أنزلت» ثم قال: «اقرأياً عمر» فقرأت القراءة التي أقرأني فقال رسول الله ﷺ: «كذلك أنزلت». إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ما يسرمنه^(٤).

وقد اختلف في المراد بالأحرف السبعة اختلافاً بيناً فرجح بعضهم أن تكون الأحرف السبعة لغات القبائل وقيل إن المراد بها معاني الأحكام القرآنية كالمحكم والمشابه والحلال والحرام، والإنشاء والخبر والأمثال.

(١) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن / باب أنزل القرآن على سبعة أحرف .

(٢) "أساوره" أبطش به، أو أخذ برأسه، أو أوانبه.

(٣) أي: جمعت ثيابه عند نحره وجررت منها، أو ضربت لبيته أي "موضع القلادة".

(٤) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن / باب أنزل القرآن على سبعة أحرف .

وهناك أقوال أخرى مختلفة تناولها ابن الجزري بالتفنيـد والمراجعة ثم رفضها محتجا بأن صحابة رسول الله ﷺ لما ترفعوا إليه كان ترفعهم واختلافهم فيما يختص بحروف القرآن، ولم يختلفوا في تفسيره، ولا أحكامه ولا معانيه، لذا يميل المحققون من العلماء إلى ترجيح مذهب الإمام أبي الفضل الرازي حيث يرى أن المراد بالأحرف السبعة: الأوجه التي يقع بها «التغاير والاختلاف» وهي لا تخرج عن سبعة».

أوجه التغاير والاختلاف السبعة:

١- اختلاف الأسماء: في الإفراد والتثنية والجمع والتذكير والتأنيث. فالاختلاف في الإفراد والجمع في نحو قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ﴾ [البقرة: ١٨٤].

قرئ بالإفراد (مسكين) وقرئ (مساكين) بالجمع.

والاختلاف في التثنية والجمع نحو قوله تعالى: ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠]، قرئ بالتثنية وقرئ (إخوتكم) بالجمع.

والاختلاف في التذكير والتأنيث نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفِيعَةٌ﴾ قرئ بياء التذكير، وقرئ (تقبل) بياء التأنيث [البقرة: ٤٨].

٢- اختلاف تصريف الأفعال: من ماض ومضارع وأمر نحو قوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ حَيْرًا﴾ [البقرة: ١٨٤] قرئ الفعل هكذا (تطوع) على أنه فعل ماض وقرئ (يطوِّع) على أنه فعل مضارع مجزوم.

ونحو قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأنبياء: ٤] قرئ (قال) على أنه فعل ماض، وقرئ (قل) على أنه فعل أمر.

٣- اختلاف وجوه الإعراب: نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ [البقرة: ١١٩]، قرئ بضم التاء ورفع اللام على أن (لا) نافية وقرئ بفتح التاء وجزم اللام هكذا (تَسأل) على أن (لا) ناهية.

٤- الاختلاف بالنقص أو الزيادة: نحو قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَنفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [آل عمران: ١٣٣] بإثبات الواو قبل السين وقرئ (سارعوا) بحذف الواو.

٥- الاختلاف بالتقديم والتأخير: نحو قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا وُقَاتِلُوا﴾ [آل عمران: ١٩٥] قرئ هكذا بتقديم (وقاتلوا) وتأخير (وقاتلوا).

٦- الاختلاف بالإبدال أي جعل حرف مكان حرف آخر: كقوله تعالى: ﴿هَذَا لَكَ نَبَأٌ كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ﴾ [يونس: ٣٠] قرئ هكذا بباء مفتوحة فباء ساكنة وقرئ بباءين الأولى مفتوحة والثانية ساكنة (تتلوا).

٧- الاختلاف في الهجاء: كالفتح والإمالة والإظهار، والإدغام والتسهيل، والتحقيق، والتفخيم، والترقيق، وهكذا يدخل بين هذا النوع الكلمات التي اختلفت فيها لغة القبائل نحو (خطوات) تقرأ بتحريك الطاء بالضم، وتقرأ بتسكينها، ونحو (بيوت) تقرأ بضم الباء وتقرأ بكسرها^(١).

حكمة إنزال القرآن على سبعة أحرف:

١- اختلاف ألسنة العرب ولهجاتهم بحيث لو كلفهم الله تعالى لهجة واحدة لشق عليهم ذلك ونلاحظ مثل ذلك في عصرنا هذا إذ تختلف لهجات الشعب الواحد بين أهالي شمال البلاد وأهالي الجنوب وبين أهالي السواحل وأهالي وسط البلاد.

فمن رحمة الله تعالى أنه يسر على هذه الأمة حفظ كتابه وتلاوته فأذن لبيه أن يقرئ أمته القرآن على سبعة أحرف، فكان النبي يقرئ كل قبيلة بما يوافق لغتها.

٢- ويرى البعض أنه في إنزال القرآن الكريم على سبعة أحرف دليل على صدق رسالة النبي ﷺ حيث ينطق القرآن بهذه الأحرف السبعة وتلك اللهجات المتعددة وهو النبي الأمي الذي لا يعرف سوى لهجة قريش.

(١) من كتاب "الشيخان"، طه حسين ص ٩٧، من الكتاب الأول - بصرف.

جمع القرآن:

لا شك أن البعض منا قد سأل نفسه ذات يوم وهو يتناول بين يديه كتاب الله العزيز (المصحف الشريف) بغلافه الفاخر وطباعته الرائعة: «تري كيف كانت هيئة هذا الكتاب على عهد الرسول ﷺ؟ هل كان كتاباً يشبه ما نراه بين أيدينا اليوم؟ وكيف حفظه الله، وحافظ عليه حتى وصل إلى أيدينا في عهدنا هذا؟، وإذا كان هذا التساؤل قد طاف بخواطر الكثيرين منا ممن لم تتح لهم الفرصة لمعرفة تاريخ تدوين ما يسمى «بالمصحف العثماني» فما نحن نحاول أن نجيب عن ذلك التساؤل في غير إسهاب.

تدوين المصحف العثماني:

حينما بُعث الرسول ﷺ بمكة ودخل في الإسلام بعضٌ ممن عرفوا الكتابة من الصحابة، كان رسول الله ﷺ، يدعوهم لكتابة ما نزل من القرآن أولاً بأول، وكان كل واحد منهم يحتفظ بما كتبه في مكان يأمن فيه على ما كتب من الضياع.

ولما لم تكن الكتابة على الورق أمراً ميسوراً لكل من أراد الكتابة كما هو الحال اليوم، لذا فقد لجأ العرب في ذلك الوقت إلى الكتابة على (العسيب) وهو جريدة النخل العريضة. وكتبوا على (الكتف) وهو العظم العريض خلف منكب الحيوان. وكتبوا على (الرقعة) وهي القطعة من الجلد أو الورق وكتبوا على اللوح وهو الصفحة العريضة من الخشب. وكتبوا على أضلاع الحيوانات (كالإبل والنوق).

وأذن الله لرسوله ﷺ بالهجرة إلى المدينة فزاد اهتمامه بكتابة الوحي، وعمل على محو أمية الكثير من المسلمين، وجعل فدية الأسير لفلك رقبتة أن يعلم عشرة من المسلمين فزاد عدد كتاب الوحي فلم يتم نزول القرآن حتى كانوا أكثر من أربعين كاتباً من بينهم عدد غير قليل من حفظة القرآن فلما تولى أبو بكر الخلافة وأرسل الجيوش لمحاربة المرتدين استشهد عدد من أصحاب رسول الله ﷺ، وفي حرب «مسيلمة» استشهد عدد آخر أكبر، وكان من بينهم نحو سبعين من حفظة القرآن. فأشار عمر رضي الله عنه على أبي بكر أن يجمع القرآن حتى لا يتعرض نص من

نصوصه للضياع باستشهاد القراء منهم وأصحاب النبي ﷺ . وتردد أبو بكر في قبول ذلك الرأي لأنه كان يتحرج من أن يفعل شيئاً لم يفعله الرسول وهو جمع القرآن . ولكن عمر مازال به حتى أقنعه فدعا أبو بكر «زيد بن ثابت» رحمه الله، وكان شاباً قويا صبورا عاقلاً من كتاب الوحي وقد شهد العرضة الأخيرة للقرآن في حياة النبي ﷺ فكلفه أن يتبع القرآن فيجمعه .

وتردد زيد كما تردد أبو بكر، لأن النبي لم يفعل ذلك، ولكن أبا بكر وعمر ﷺ أثناعده بما في ذلك من خير للإسلام والمسلمين، وجعل يتبع القرآن يجمعه من صدور الرجال، وبالرغم من حفظه للقرآن لم يكن يقبل من رجل نصاً من نصوصه إلا إذا وجدته عند رجل آخر من أصحاب النبي وقيل لم يقبل شيئاً من أحد إلا أن يأتي معه بشهيدين، مستبعداً كل ما ليس بقرآن من أحاديث قدسية أو تفسير أو تأويل وما نسخت تلاوته من القرآن . ومستبعداً من القرآن رواية الآحاد . فلما أتم جمعه من ألواح الحجارة والجلود وأكتاف الإبل وعشب النخل، وكان ذلك في عهد أبي بكر أو في أيام عمر - على اختلاف في ذلك - «اكتمل بذلك أول مصحف» كتب فيه القرآن الكريم «كاملاً» «مرتب السور والآيات» بما يتفق والعرضة الأخيرة وظل أول المصاحف هذا عند أبي بكر (إن كان قد اكتمل جمعه في عهده) . ثم صار بعد ذلك إلى عمر، أو ظل عند عمر (إن كان قد اكتمل جمعه في عهده) حتى استشهد عمر ﷺ فكانت نهاية المطاف عند «حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها» .

الفرق بين: «جمع القرآن» و «نسخ المصاحف»:

لما تولى عثمان الخلافة وخشى اختلاف الناس بالأمصار في قراءة القرآن عزم على «نسخ المصاحف»، وإرسالها إلى المدن الكبرى، فطلب هذا المصحف من حفصة ليعتمد عليه القائمون بالنسخ، وكان زيد بن ثابت من الذين شاركوا في ذلك أيضاً .

ومن الناس من يظن أن جمع القرآن أيام أبي بكر أريد به منع اختلاف الناس في القراءة، وهذا خطأ، فالمصحف الذي جمع لم يكن مرجعاً معروضاً لعامة المسلمين، وإنما أريد به حفظ نصوص القرآن من أن تذهب بموت الذين يحفظونه في صدورهم، أو يحتفظون بها مكتوبة

عندهم فأما المصحف الذي أريد به منع اختلاف الناس في القراءة فهو الذي أرسله عثمان رضي الله عنه إلى الأمصار والذي سمي (بالمصحف الإمام) أي الذي يقتدي به عامة المسلمين. فقد أشار حذيفة بن اليمان على عثمان رضي الله عنه أن يدرك هذه الأمة قبل أن تختلف على كتابها كما اختلفت اليهود والنصارى نتيجة لكثرة الاختلاف في وجوه القراءة.

واستشار عثمان أعلام الصحابة وذوى الرأي، فأجمعوا على أن يأمر بنسخ عدد من المصاحف يرسل واحداً منها إلى كل مصر من الأمصار ليكون مرجعهم عند الاختلاف، وحرقت ما عداها من المصاحف. عندئذ أرسل عثمان رضي الله عنه إلى أم المؤمنين حفصة يطلب منها ما كانت تحتفظ به من الصحف التي سبق أن كتبها زيد بن ثابت رضي الله عنه فكلف عثمان «زيد بن ثابت» و«عبد الله بن الزبير» و«سعيد بن العاص»، و«عبد الرحمن بن الحارث بن هشام» بنسخ هذه الصحف عدة نسخ ثم أرسل إلى كل مصر من الأمصار نسخة وأمر بحرق ما عداها.

منشأ القراءات:

أراد عثمان رضي الله عنه أن يوحد المسلمين على مصحف واحد يرسم بطريقة تتلاءم مع الحروف السبعة التي نزل بها القرآن، وما لا يحتمله الرسم كتبه في نسخة بقراءة، وفي الأخرى بقراءة أخرى، ولم يكرره في النسخة الواحدة لدفع توهم التكرار، فإن لكل منهما وجهاً من غير تكرار ولم يكتب أحدهما في الأصل، والثاني في الحاشية لأن في ذلك ترجيحاً بلا مرجع، ولدفع توهم أن تكون الكلمة في الأصل غير صحيحة والتي في الحاشية هي تصحيح لها.

وقد ذهب جمهور العلماء إلى أن المصاحف العثمانية بمجموعها متضمنة برسمها ما ثبت من القراءات المتواترة في العريضة الأخيرة محتملة للأحرف السبعة وأرسل مع كل نسخة إماماً عدلاً ضابطاً.

فأمر زيد بن ثابت رضي الله عنه أن يُقرئ بالمصحف المدني، وأرسل عبد الله بن السائب مع المصحف المكي، والمغيرة بن أبي شهاب المخزومي مع الشامى، وأبا عبد الرحمن السلمى مع المصحف الكوفى، وعامر بن عبد القيس مع المصحف البصرى.

وقد أرسل عثمان رضي الله عنه جماعة من قراء الصحابة يعلمون الناس القراءة بالتلقين وقد تغيرت قراءاتهم بتغيير رواياتهم. كما أن المصاحف العثمانية لم تكن ملزمة بقراءة معينة دون الأخرى خلوها من النقط والتشكيل، بحيث تحتمل عند التلقين الوجوه المروية.

وقد تمسك أهل كل مصر من الأمصار بما تلقوه سماعاً من الصحابي الذي أقرأهم، وتركوا ما عداه، وكان هذا منشأ القراءات وظهور الخلاف.

وبعد فترة من الزمن مضى جيل الصحابين، وقام مقامهم جيل التابعين، ثم تفرغ جماعة «للقراءة والإقراء» حتى صاروا أئمة يقتدى بهم وتعتمد رواياتهم فنسبت القراءة إليهم^(١).

فلما كان القرن الرابع اشتهر الحافظ أبو بكر البغدادي وهو أول من أفرد القراءات السبعة في كتاب واختار فيه أشهر سبعة من أئمة القراءة في عصره.

القراءات المتواترة:

وهي عبارة عن اختلاف الكيفيات في تلاوة اللفظ القرآني المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ونسبتها إلي قائلها المتصل سندهم برسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ولزيادة الإيضاح يجب معرفة المصطلحات الآتية^(٢):

١ - **القراءة**: ويريدون بها الاختيار المنسوب لإمام من الأئمة العشرة بكيفية القراءة للفظ القرآني على ما تلقاه مشافهة متصلاً سنده برسول الله صلى الله عليه وسلم، فيقولون مثلاً: قراءة عاصم، قراءة نافع. وهكذا.

٢ - **الرواية**: ويريدون بها ما نسب لمن روي عن إمام من الأئمة العشرة من كيفية قراءته للفظ القرآني، وبيان ذلك أن لكل من أئمة القراءة راويين، اختار كل منهما رواية عن ذلك الإمام في إطار قراءته، قد عُرفَ بها ذلك الراوي ونسبت إليه فيقال مثلاً: رواية حفص عن عاصم، ورواية ورش عن نافع.... وهكذا.

(١) بغية عباد اليمين، محمد شحادة الغول، ص ٣١، ٣٣.

(٢) غاية المرید فی علم التجويد، عطية قابل نصر، ص ٢٤.

٣- الطريق؛ وهو ما نسب للناقل عن الراوي وإن سفل كما يقولون هذه رواية ورش من طريق الأزرق.

أركان القراءة الصحيحة:

لما كان القرآن العظيم إنما يتلقى بالمشافهة فيرويه جيل من أعيان القراء الضابطين عن شيوخهم ويتسلسل السند إلى النبي ﷺ كان أول شرط من شروط صحة القراءة تواتر سندها إلى الرسول ﷺ.

ولكي لا يقع القارئ فيما اتفق الصحابة على إطراره وتركه من الأحرف السبعة ويخرج على إجماعهم فإنهم اشترطوا أيضا موافقة القراءة لخط المصاحف العثمانية ورسمها ولو تقديراً... فإذا لم يحتملها الرسم اعتبرت القراءة شاذة وإن صح سندها، فلا يقرأ بها القرآن. وبعضهم يزيد شرطاً ثالثاً هو أن توافق القراءة وجهها من العربية. فإذا تأملت هذه الشروط، فاعلم أن كل قراءة تعرض عليها فإن توفرت فيها فهي صحيحة ثابتة عن النبي ﷺ، وهي مما تضمنه مصحف عثمان وأجمع عليه الصحابة، فيقرأ بها القرآن بلا خلاف، ولا يجوز إنكارها أو ردها.

ومن هذا يتبين لك أنه لا تحديد في الأصل لعدد القراءات أو أعيان القراء الذين يقرأ بروايتهم، ولذلك كان كثير من علماء أعيان السلف يقرأ بقراءات ثبتت عندهم من غير طريق هؤلاء السبعة المشهورين فابن جرير الطبري رحمه الله روى في كتابه واحداً وعشرين قراءة وكذلك فعل أبو عبيد القاسم بن سلام في كتابه (القراءات) واسماعيل بن اسحاق القاضي - صاحب قالون - وغيرهم.

يقول مكِّي بن أبي طالب القيسي في كتابه (الإنباء): «وقد ذكر الناس من الأئمة في كتبهم أكثر من سبعين ممن هو أعلى رتبة، وأجل قدراً من هؤلاء السبعة»^(١).

أما القراء السبعة فكان أول من اختارهم واقتصر عليهم في كتابه أبو بكر بن مجاهد في القرن الرابع الهجري ولذلك يوصف بأنه (مسبع السبعة) بقصد التيسير على الأمة وهم:

(١) قواعد التجويد، أبو عاصم بن عبد الفتاح القارئ، ص ٧.

- ١- نافع ويكني (أبا رويم) توفي بالمدينة وروى عنه قالون وورش.
 - ٢- (عبد الله بن كثير) الداري (إمام أهل مكة) وروى عنه قنبل والبري.
 - ٣- (أبو عمرو بن العلاء) ابن عمار التميمي البصري وروى عنه (الدوري) و(السوسي).
 - ٤- (عبد الله بن عامر) إمام أهل الشام وروى عنه (هشام) و(ابن ذكوان).
 - ٥- (عاصم بن أبي النجود) تأتي ترجمته مستقلة.
 - ٦- (حمزة بن حبيب الزيات) وأشهر رواته (خلف) و(خلاد).
 - ٧- (الكسائي) إمام الكوفة بعد حمزة. (أشهر رواته) أبو الخثر الليث.
- وزاد ابن الجزري في (نشره) و(درته) ثلاثة قراء هم: (أبو جعفر) و(يعقوب) و(خلف).

ترجمة الإمام عاصم :

اسمه : عاصم بن أبي النجود الأسدي، ويقال (ابن بهدلة).

مكانته : شيخ الإقراء بالكوفة، وأحد القراء السبعة وكان من التابعين الأجلاء.

إسناده : إسناده عاصم في القراءة ليس بينه وبين رسول الله ﷺ سوى رجلين.

فقد قرأ القرآن على أبي عبد الرحمن السلمي عن علي رضي الله عنه، وقرأ على زر بن حبیش. عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وكان يتردد عليهما، فيأخذ من هذا قراءة ابن مسعود، ومن ذلك قراءة علي، وهكذا استوثق في القراءة، وجمع فيها بين أقوى المصادر.

قال عنه أبو اسحق السبيعي: ما رأيت أحداً أقرأ للقرآن من عاصم وروى عبد الله بن أحمد بن حنبل أنه قال: سألت أبي أي القراءة أحب إليك؟ فقال: قراءة أهل المدينة، فإن لم يكن فقراءة عاصم.

وقد أثنى عليه الأئمة وقدموه في القراءة وجعلوا قراءته في مقدمة القراءات المتواترة، وتلقوا روايته بالقبول. وكان رحمه الله إلى جانب علمه بالقراءة عالماً بالسنة، لغوياً، نحوياً،

فقهياً، وكان رجلاً صالحاً خيراً ثقة.

روي عنه القراءة كثيرون عد منهم الذهبي: حفص بن سليمان، وأبا بكر شعبة بن عباس، والمفضل بن محمد الصبي، والأعمش، ونعيم بن مسرة... وهؤلاء قرءوا عليه القرآن. وفاته: قيل توفي رحمه الله سنة سبع وعشرين ومائة هجرية (وفي قول آخر مائة وعشرين من الهجرة) جزاه الله عن الأمة خير الجزاء.

ترجمة الإمام حفص :

هو حفص بن سليمان بن المغيرة الأسدي الغاضري (قبيلة من بني أسد) البراز الكوفي المعروف بحفيص وكنيته «أبو عمر»، ولد سنة ٩٠ هـ وتوفي سنة ١٨٠ هـ.

كان ربيب عاصم (ابن زوجته)، وكان أعلم أصحابه بقراءته أخذ القراءة عنه تلقيناً. ثناء العلماء عليه: أما في القراءة فيعدونه مقدماً على أبي بكر بن عباس (شعبة) وهو الراوي الآخر عن عاصم. فهو أكثر حفظاً وإتقاناً، ولذلك اشتهرت روايته وتلقاها الأئمة بالقبول. يقول الحافظ الذهبي: وكان الأولون يعدونه في الحفظ فوق أبي بكر بن عباس ويصفونه بضبط الحروف التي قرأ بها على عاصم.

وقال يحيى بن معين: الرواية الصحيحة التي رويت عن عاصم رواية «حفص بن سليمان» وليس بغريب على حفص فقد قرأ على عاصم مراراً. وقد كان رحمه الله متخصصاً بالقراءة متقناً لها، ولم يكن شأنه كذلك في الحديث...

قال الذهبي في ميزان الاعتدال: كان ثبتاً في القراءة، وإمياً في الحديث، لأنه كان يتقن القرآن ويجوده، ولا يتقن الحديث، وإلا فهو في نفسه صادق.

وشهد له الشاطبي بقوله: .

« وحفص وبالإتقان كان مفضلاً »

.....

نزل رحمه الله ببغداد فأقرأ بها، وجاور في مكة فأقرأ بها، وكما سبق أن بينا، فقد قرأ القرآن على إمامه عاصم (زوج أمه)، وقرأ عاصم بالرواية التي أقرأها لحفص على أبي عبد الرحمن السلمي، عن علي رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قرأ عاصم بالرواية التي أقرأها لشعبة على زر بن حبيش، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

و روى عن حفص رواية كثيرون منهم:

حسين بن محمد المروزي، وحمزة بن قاسم الأحوال، وسليمان بن داود الزهراني...
وكثيرون غيرهم. غفر الله لهم جميعاً.

